دراسات جولدزيهر القرآنية

سيد مجيد پور طباطبائي (*)

الخلاصة

إجناتس جولدزيهر المستشرق الهنغاري الشهير

يعدّ من المستشرقين اليهود، وكان له تأثير كبير في بث وترويج الشبهات ضد الإسلام والرسول ﷺ والقرآن والاحاديث في العالم. ولد في يونيو عام ١٨٥٠م. وتوفي في ٧١ من عمره عام ١٩٢١م.

اعتمد في أبحاثه القرآنية على «ثئودور نولدكه» في كتابه (تأريخ القرآن). وكانت بحوثه الاصلية في علم الكلام والعقائد ودراسة الفِرق والدراسات القرآنية، وقام برحلات علمية إلى بعض الدول الإسلامية ومنها سوريا ومصر وتتلمذ على يد كبار المفكرين المسلمين وتعلم اللغة العربية وتلقف العلوم الدينية[1].

(*) باحث في مركز الثقافة والمعارف القرآنية.

في هذه المقالة وبعد تبيين ميوله اليهودية نتعرض إلى حياته العلمية (يشتمل دراسة كتاب « العقيدة والإسلام ومذاهب التفسير الإسلامي، والظاهرية، والمذهب، والتأريخ، وغيرها) وسندرس نماذج من أهدافه ومنها كان يروم إليه. وسوف ندرس تعارضه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وشبهاته حول الوحي باذن الله تعالى.

المفرداة الرئيسية: النهج التفسيري، محاضرات حول الإسلام، الاغراض الخاصة، التظاؤل أمام جولدزيهر.

١ ـ لمحات من حياته:

إجناتس جولدزيهر[٢]، ـ المستشرق الشهير الهنغاري ـ ولد في ٢٢ يونيو عام ١٨٥٠ في مدينة «اشتلونيزبورغ» في هنغاريا في عائلة يهودية شهيرة وثرية[٣].

وفي ١٢ من عمره كتب مقالة في الصلاة والدعاء اظهر بها نبوغه الذاتي. تتلمذ في«بودابست»على يد وامبري[٤] وذهب إلى برلين في عام ١٨٦٩ وتتلمذ على يد رودريجر[٥] وكتب رسالة دكتوراه حول تفسير عربي للتوراة يرجع إلى القرون الوسطى، باسم تنخوم اوشليعام ١٨٧٠ وتحت اشراف فيلشر[٦] (١٨٨٨ ـ ١٨٠١) في لاييزيك وفي عام ١٨٧١ وبمساعدة بارون جوزف التوس دخل جامعة بودابست ودرّس فيها العبرية والعربية.

نال مرتبة المعيد في جامعة بودابست عام ١٨٧٢، ولكن لم يمضِ طويلاً حتّى أرسلته وزارة الثقافة الهنغارية في بعثة للمطالعة إلى الخارج وبقي سنة منها في وين وايدن وذهب بعدها إلى الشرق، من ايلول إلى نيسان عام ١٨٧٣ بقي في القاهرة وسوريا وفلسطين، في المدة التي قضاها في القاهرة استطاع حضور بعض المجالس الدراسية للازهر، وكان ذلك بالنسبة لرجل مثله يعد فضلاً كبيراً وامتيازاً عظيماً. فإنّ اهتمامه مذ دعي للتدريس في بودابست للمطالعة العربية عموماً وبالإسلام خصوصاً

كان يزداد يوماً بعد يوم والتي أكسبته شهرة في وطنه. في عام ١٨٧١ انتخب عضواً تابعاً للأكاديمية الهنغارية وبعدها عضواً ثابتاً فيها وفي عام ١٩٠٧ انتخب مسؤولاً لأحد أقسامها، وفي عام ١٨٩٤ بعد ان انتخب لتدريس اللغة السامية لم يغادر بلده ومدينته بودابست الا للمشاركة في المؤتمرات أو حين كان يدعى لإلقاء المحاضرات في الجامعات.

وعلى قول «بكر»، انّه وبمساعدة اسنوك هورجرونية(٧) كانا قد أسّسا علم دراسة الإسلام. الحرب العالمية الاولى اخلّت حياته العلمية، وبالرغم من ان دراسته كانت باللغة الألمانية وانه كان يألف الثقافة الألمانية الا انه لم يستطع التخلي عن وحدة التواصل الثقافي للامم. وحتى بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وعدم حصوله على المجلات العلمية كان يشكو حرمانه من غذائه الروحي في مراسلاته مع زملائه والتي أشار إلى بعضها ماسينيون(٨).

ولمدة ٣٠ عاماً كان الأمين العام لجمعية التجددية اليهودية«بودابست»(٩). جولدزيهر وبسبب قراءة التوراة في شبابه كان من المشجعين لنظرية ولهاوزن(١٠) القائلة ان «عدم تجانس الاجزاء الاصلية للتورات» وبعدها مال إلى نظرية مارنست رنان القائلة بـ«الثقافة والحضارة النازية هي أسمى من السامية».

وفي أواخر حياته خلُص إلى هذه النتيجة: «ان سلمنا بنظريتي ولهاوزن ورنان بخصوص انّ «التوراة» هي مجرد أُسطورة، تبقى التوراة المقدسة أثراً فنياً»(١١).

٢ ـ حياته العلمية:

وصلتنا آثار مختلفة من هذا المستشرق(١٢)، بعض كتبه ومقالاته وجهت اليها الانظار والانتقادات منها:

١ ـ المحاضرات حول الإسلام.

٢ ـ النزعات التفسيرية بين المسلمين.

٣ ـ الظاهرية، مذهبهم وتأريخهم[١٥].
٤ ـ موقف قدماء أهل السنّة من العلم اليوناني[١٦].

١ ـ ٢. المحاضرات حول الإسلام:

جمع «جولدزيهر» هذه المحاضرات بصورة مجموعة كاملة ونشرها في كتاب مستقل ترجم إلى الانجليزية وطبع في اوربا [١٧]، وكذلك نال الاهتمام في المشرق الإسلامي فقد ترجمه ثلاثة من المصريين بعنوان «العقيدة والشريعة في الإسلام» وعلّقوا في حاشية بعض صفحاته وردوا رأيه فيه. هؤلاء الثلاثة هم: محمد يوسف موسى وعبدالعزيز عبدالحق وعلي حسين عبدالقادر. كان نقدهم وبسب كونه مختصراً لم يرضِ العالم المصري المعاصر، الاستاذ محمد الغزالي في كتاب تحت عنوان «دفاع عن الحقيقة والشريعة» رداً على جولدزيهر جاء في مقدمته: «في الحقيقة ان هذا الكتاب «قول جولدزيهر» هو ازرى ما كتب حول الإسلام ومن أبشع ما طعن بالإسلام وان التعليقات التي جاءت في حاشية بعض صفحاته ما هي إلّا محاولات واهنة أمام التيار الجارف للتهم والظلم التي جاءت به»[١٨].

ومن ثم ترجم علي نقي منزوي الكتاب «العقيدة والشريعة في الإسلام» من العربية إلى الفارسية بعنوان « دروس من الإسلام» حذف منها تعليق الاستاذ المصري وأضاف تعليقاته عليه.

١ـ١ـ٢. دراسة ونقد الكتاب:

ذكرنا انّ جولدزيهر كان متتبعاً جداً لكتب ورسالات المسلمين وان آثاره حافلة بالاستشهاد بالمآخذ الإسلامية، ولكنه للاسف لم يكن حسن النية في ذلك، وفي موارد لم يفهم التعابير العربية الواضحة ونسبها إلى معانٍ غير صحيحة ويليق بالبحث التطرق إلى نماذج من زلّاته.



يقول جولدزيهر بخصوص وعد الله لنبيه ﷺ نصرته وأصحابه: «هنا نرى التيه الاسطوري لتصور محمد من «الله»؛ لأنّ ذلك يتطلب لأن ينزل تعالى من مقامه السماوي الرفيع ليشارك وينصر نبيه في جهاده»[١٩].

ومن الممكن ان يتساءل بعضهم انّ جولدزيهر من اي آية جاء بالتصور الاسطوري؟ الجواب واضح ان جولدزيهر في نفس الصفحة من كتابه[٢٠] يستشهد بهذه الآية «إنّ الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوّان كفور»[٢١]، أمن الحقيقة انّ دلالة هذه الآية ان الله ينزل من السماء ويشترك بالحرب؟

يبدو ان جولدزيهر حينما كان يقرأ هذه الآية، كان قد تأثر بكتابه الديني «التوراة» وقد فسر القرآن بالقراءة المستشرقة اليهودية ؛وذلك لاننا نقرأ في التوراة:

«١. ان الله في النهار يتقدم القوم بعمود من السحب ليدلهم الطريق وفي الليل كان يتقدمهم بعمود من نار لينيرهم ليسيروا في الليل والنهار»[٢٢].

«٢. إنّ الله القى بنظرة من عمود النار والسحاب على معسكر المصريين وافسد غراباتهم حتى قال المصريون: انهزموا فإنّ الله يقاتل مع بني اسرائيل وهو خصمنا»[٢٣].

ان آراء جولدزيهر متاثرة بما تصف التوراة الله به، والا فإن الله الذي يصفه القرآن لا يدرك كنهه احد، نقرأ في القرآن:«ولا يحيطون به علماً»[٢٤]، «الا انه بكل شيءٍ محيط»[٢٥]؛ «ليس كمثله شيء»[٢٦]. فبالقطع اذا تحدث القرآن المجيد عن دفاع الله، فمن البديهي ان دفاعه تعالى لا يشبه دفاع الناس عن بعضهم، وإنّما هو في زرع الثبات في قلوب المؤمنين: «انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين »[٢٧]، وزرع الخوف والرعب في قلوب الكافرين: «سأُلقي في قلوب الذين كفروا الرعـب»[٢٨]، وأمثال تلك الطرق لنصرتهم لا ان ينزل من السماء ويشاركهم القتال! وفي الحقيقة ان الانس الذهني للمستشرقين الهنغاريين بـ« التورات » جعلهم يحمّلون الآية هذا المعنى

وان ينسبوه للنبي محمد صلى الله عليه وآله.

وفي نموذج آخر كان جولدزيهر على عقيدة ان النبى لم يعرّف الكتاب بأنه «أُسوة» للمؤمنين، ولكن علماء علم الكلام هم من وضع ذلك قائلاً:«علم الكلام هو من حقق ذلك بترسيم صورة اجتماع الفضائل في النبي، لا من كان مجرد وسيلة لتلقي الوحي ونشره بين الناس. وبالرغم من ان النبي هو لم يرد ذلك فقد قال تعالى:«يـأيها النبي إنا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً»(٢٩) ؛وهذا يعني انه مجرد من يهدي إلى الطريق لا افضل أُسوة أو على الاقل انه لا يكون أُسوة إلّا في ظل ذكر الله والتعويل عليه تعالى« لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر»(٣٠).

كما نلاحظ، ان جولدزيهر في آخر المطاف نراه وقع في ضيق؛ إذ رأى انّ صريح القرآن في نفس السورة التي يصف بها النبي صلى الله عليه وآله بانه شاهد ومبشر ونذير وداعٍ إلى الله وانه السراج المنير وصفه بأنه «اسوة حسنة» ولكن جولدزيهر انكر هذا الوصف القرآني ولكي يتمسك بمخرج من ذلك أضاف انّ النبي من رؤية القرآن لم يكن أُسوة إلّا في ظل ذكر الله والتعويل عليه، وذلك كله بسبب جهله باللغة العربية؛وذلك ان القيد في الآية يخص الذين يجب عليهم ان يجعلوا النبي أُسوة لهم ولا تخص النبي صلى الله عليه وآله! وذلك من صيغة التي جاء بها الشرط في الآية المباركة (لمن كان يرجو الله) لا (ان كان يرجو الله) فإن اصل الآية كما جاء في القرآن الكريم «لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً»(٣١)، فإن «لمن كان يرجو الله» هي بدل من «لكم» وكما اوردها الزمخشري في تفسيره **الكشاف** «لمن كان يرجو الله بدلاً من لكم كقوله: للذين استضعفوا لمن آمن منهم»(٣٢).

ولنفرض صحة ما ذهب إليه جولدزيهر «ان النبي إن ذكر الله كثيراً وعوّل عليه فيكون أُسوة حسنة»؛ اما كان الرسول صلى الله عليه وآله معوّلاً على الله في كل اموره ألم يكن أكثر

ذاكرٍ لله تعالى؟! أو ليس من صريح القرآن «وإنك لعلى خلق عظيم »[٣٣]؛ وقال: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله»[٣٤] وقال: «واتّبعوه لعلكم تهتدون»[٣٥] فكيف يسمح جولدزيهر لنفسه ان يتقول بهذه الاقاويل؟! وماذا كان يروم من إن القرآن لم يجعل النبي أُسوة للمؤمنين؟![٣٦].

السيد محمد ايازي يقول في هذا الكتاب: «قبل ان نحكم على (مذاهب التفسير الإسلامي) والذي هو من آثاره المتقدمة، يجب ان نلقي نظرة وجيزة على كتاب «العقيدة والشريعة» لنعلم ما هو نهج المؤلف الكلي وما كان يرمي إليه من قبوله لمحاضرات باريس وتنظيمها بشكل مكتوبات إلى مخاطبيه.

كما يبدو ان الاصول والاطر الفكرية لتفسير القرآن لجولدزيهر مبنية على اساس مثل هذه الدراسات الإسلامية. فإن كان في كتاب «مذاهب التفسير» يبين آراءه من خلال الاستشهاد بآراء الآخرين، فإنه في هذا الكتاب يطرح آراءه بشفافية اكبر[٣٧].

ما يرمي إليه جولدزيهر وأهدافه الخاصة:

لقد تتبع جولدزيهر في هذا الكتاب اهدافه واغراضه الخاصة. ويمكن الاشارة إلى بعضها:

١ ـ ان الإسلام ليس برسالة خالدة وان الإسلام الفعلي[٣٨] هو حصيلة جهود النبي وقراءات علماء المسلمين على طول التأريخ. وما يعرف الآن باسم الحضارة الإسلامية ما هو الا نوع من المعتقدات الاغريقية والافكار والنظريات السياسية الايرانية والآراء الفلسفية الهندية وافلاطونية حديثة؛ وانه يقر ان الإسلام استطاع في كافة هذه الميادين من الاستيعاب ويضم هذه الآراء بحيث انّ عملية فصل اجزاءه جذور هذه العناصر الغريبة عن بعضها تحتاج إلى عملية تحليل عميقة[٣٩]. مع كلّ هذا

يحاول إثبات ان الإسلام هو حصيلة الماضي والمستقبل.

٢ ـ انّ الذي جاء به محمد ليس هو مقتطفاً حافلاً بالمعلومات والعقائد المذهبية قد تلاقاها، وإنّما قد تأثّر باليهود والنصارى وغيرهم في احتكاكه معهم، ولكنه لم يتعرض إلى ان التعاليم الدينية التي كان يتلقاها محمد هي عن طريق الوحي وانه وسيلة هذا الوحي[٤٠].

٣ ـ انّ الوحي من نظرته هي الخلجات الفكرية النابعة من المخزون الفكري للنبي عند رد فعله بالنسبة للظروف والضغوط الشديدة في عصره المحيط به. وكأنّما الالهامات المذهبية والاحلام الهيجانية تضاف إلى هذه المجموعة وكان ذلك يدفعه إلى الذهاب إلى قريش وردعهم عما كان يضرهم.

٤ ـ ان دعوة النبي في مكة إلى التوبة والندامة والتواضع والتسليم ترجع إلى قصص ترجع إلى يوم البعث والسبب في هذا النهج للنبي هو نفي الشرك[٤٢]. انّه يقول في مكان آخر: ان التصوير المخيف الذي جاء به محمد ليوم البعث، كان قد اخذه من الوحي أو من المذاهب قبله وان ترسيمه إلى الدولة السماوية المستقبلية لم يكن فيه أي أمل.

انّ محمداً كان فقط منذراً ليوم الغضب والمؤآخذة. انه كان يرى السعادة للمنتجبين في الجنة ولكنه لم يفتح اي كوة امل في عالم الدنيا[٤٣].

هذا مجرد القليل القليل مما أورده جولدزيهر في كتابه **دروس من الإسلام**، وهذا الكتاب مفعم بالتناقضات ففي مكان يقول: انّ تعاليمه تنبع من تعاليم اليهود والنصارى والعرب ومن جانب آخر يقول: انّه تلقى معارفه من اصحابه بمكة، ويقول في مكان آخر: هذه الالهامات لا يتقبلها اي من العرب[٤٤].

السيد محمد ايازي في كتابه «اتجاهات التفسير بين المسلمين» يصرح ان الذي تخلص إليه جولدزيهر عبارة عن:

١ ـ ان تفسيـره مادي.

٢ ـ قد حقّر شخصية النبي الاعظم صلى الله عليه وآله.

٣ ـ عدّ الإسلام حقيراً.

٤ ـ عدّ الإسلام بدوياً.

٢ـ١ـ٢. التضاؤل امام جولدزيهر :

نحن كمسلمين لا نتوقع من المستشرقين امثال جولدزيهر وغيره ان يكونوا على عقيدة كعقيدتنا. وهذا امر بديهي وذلك ان هؤلاء المستشرقين ينتمون إلى لغة وثقافة اخرى وشتان ما بين الثقافتين، ومن جهة اخرى نحن لسنا على علم باهداف المستشرقين، وفي نفس الوقت يجب على الباحثين المسلمين القابعين في البلاد الإسلامية والمشرفين على آثار المستشرقين ان لا يعتبروا امثال آثار جولدزيهر بحوثاً علمية قطعية؛ ولكن وللأسف نرى بعض المحققين سلّموا بمبادئ جولدزيهر وتخلوا عن اصولهم.

والمثال البارز لذلك الباحث علي نقي منزوي ـ المترجم لكتاب دروس حول الإسلام الى الفارسية ـ، إذ كتب في مقدمة الكتاب: «جولدزيهر في كتابه هذا له نظرة تنير كل الزوايا الإسلام وقد رسم جوهرة الحياة الروحية الإسلامية من نظره. انه في القسم الاول من الاقسام الستة للكتا ب كتب شرحاً للإسلام والنبي محمد، والدور المهم للضمير وصفاء القلب في الإسلام. وفي القسم الثاني من الكتاب تحقيق مفصل في تكامل القوانين الإسلامية وقراءة كلية للتاريخ الحديث وخصائص الفقه في بداية نشوء المذاهب. والاهم من ذلك في الفصل الثالث من الكتاب الذي يختص بتكامل علم الكتاب توسع في بحث الجبر والاختيار وأين وجه الاختلاف بين السنة والمعتزلة في مسائل العبادة والاخلاق. وهنا ينكر جولدزيهر على المعتزلة انهم دعاة الحرية

وبروحية منفتحة يدافع عن السنة والتسنن المحافظ للعرب وقد اوردت في الحاشية هذا الرأي لجولدزيهر. ومن ثم يتعرض إلى مذهبي الاشعرية والماتريدية وعلى عكس الآخرين نراه يتوسع في الماتريدية. في القسم الرابع من هذا الكتب يختص بدارسة الوعي والزهد عند المتصوفة والبداية البسيطة للزهد ومن ثم يتكامل مع امتزاجه مع الفكر الهندي واليوناني إلى القرن (٧ ق ـ ١٣م) حيث يبلغ وحدة الوجود.

القسمان الاخيران من هذا الكتاب يختصان بالفرق العريقة والخوارج والشيعة في الإسلام والفرق الجديدة مثل الوهابية والسيك و(احمدي القادياني) ثم يتحدث عن المحاولات التي حدثت بين السنة والشيعة، ان هذا الكتاب هو تصوير كامل تقريباً عن الحياة الروحانية في الإسلام، وبعضها متناسب»[٤٥].

ولا ننسى أنّ الكتاب ثلاثة وعشرون عاماً (بيست وسه سال ـ بالفارسية ـ) من تأليف علي دشتي بالحقيقة هو قراءة جديدة ومبسطة لكتاب دروس حول الإسلام[٤٦].

٢ ـ٢. مناهج التفسير بين المسلمين :

لقد تم طبع هذا الكتاب ونشره في عام ١٩٢٠ باللغة الالمانية وقد ترجم لاول مرة إلى اللغة العربية وبصورة كاملة على يد عبد الحليم النجـّار تحت عنوان مذاهب التفسير الإسلامي ونشر في مصر[٤٨].

«جولدزيهر في هذا الكتاب قام بتحليل مختلف النظرات حول القرآن الكريم بين المسلمين ونقدها ودراستها، ودرس كافة مكاتب التفسير، ويطرح رؤيته بخصوص الإسلام والنبي الاكرم ومدى تأثر القرآن باليهود. وفي بداية الكتاب وفي فصلين يبين اول مرحلة للتفسير، ومن ثم يبين اصول التفسير النقلي. القسم الثالث يتحدث عن النهج التفسيري عند المعتزلة والذي بحثه المؤلف ودرسه تأريخياً وتحليلياً

بدقة، وقد درس نهجهم وسلوكهم الفكري.

امّا القسم الرابع من الكتاب فيبحث فيه القراءة للتفسير الصوفي والتفسير الرمزي والتأويلي. القسم الخامس يتحدث عن التفسير العقائدي أو الفِرقي يبين من خلاله المؤلف كيفية استخدام الفرق الدينية والكلامية الآيات القرآنية ليثبتوا حقانيتهم؛ فقد حمّلوا الآيات بتكلف معانٍ تتناسب مع اهدافهم»(٤٩).

ايازي بتعليقه على هذا الكتاب يقول: ان هذا الكتاب على مايحمله فحواه من اشكالات وتصورات كثيرة في تفسير القرآن غير انّه كان له تأثير كبير في البحوث الايجابية والسلبية التي تبعته.

ـ فإن أراد احد تتبع السير التكاملي لهذا العلم في القرن الاخير عليه ان يبتدئ بكتاب (مذاهب التفسير الإسلامي) وأن يدرس نهج جولدزيهر في دراسة التفاسير الإسلامية وتحليلها ونقدها ومدى تأثيره لما بعده من النصوص.

في القرن الاخير اخذ علم التفسير التحقيقي بالسمو والرقي لأنّ ما قبله قد بقي بمستوى التفسير الطبقاتي.

من الكتب التي دوّت في عالم الإسلام وخاصة في عالم التسنن كتاب (التفسير والمفسرون) لمحمد حسين الذهبي ؛ ولكنه متأخر بخمسين عام عن اثر جولدزيهر وأما الكتب الاخرى فهي بنفس المستوى أو انه جاءت بخصوص تفسير معين كتفسير الزمخشري (م. ٥٢٨) أو الفخر الرازي (م. ٦٠٦) والقرطبي(م ٦٧١)، أو انها لمذاهب تفسيرية خاصة مثل التفسير الأثري أو التفسير العقلي أو الاجتهادي أو التفسير الشيعي أو السني فهذه الآثار أيضاً كتبت بعده.

فإن نهجه سواء على مستوى البرهنة أو التحقيق أو على مستوى نقده السلبي، كان له أثر بيّن في كتابات الآخرين ومن الضروري مطالعة كتبه»(٥٠).

الدكتور برويز رستكار[٥١] في مقالته « مستغربات مستشرق» يكتب حول هذا الكتاب: (هذا الكتاب حافل بالاستنتاج بآراء المستشرقين[٥٢] وانه حقـاً تمكن من انجاز مهمة صعبة وهي حصيلة من اجتماع عدة عناصر، فيجب ان يتخذ أُسوة في نهجه وطريقة تتبعه فإنه قام بهذا المستوى من التحقيق بعيداً عن العجلة والسفسطة، وان بحثه يدور حول محاور إعداد المواد الاولية أولاً ومن ثمّ التطرق إلى الجزئيات الصغيرة والمترامية الاطراف والكثيرة و(التفكيك بمهارة لا يعني بالضرورة التركيب بمهارة واستحصال الجزئيات من دون نقص)، ونظرته التأريخية للتفسير هي بعيدة عن ولوج مطبات الملاحظات والمؤاخذات والمحذوفات والتي تسع المحيط لهذا العلم، إذ كان يتمتع بنظرة حرة ومشرقة ومسيطرة بدلاً من نظرة المشادّة والشباك، والاستشهاد بالمنابع الاصلية القليلة الواسطة، وإنّ تتبعه الشامل للنصوص والهوامش واستشهاده بنصوص كثيرة بيّن[٥٣] اطلاعه الجيد بقواعد اللغة العربية وآدابها[٥٤] وتأريخ صدر الإسلام[٥٥] وتأريخ نزول القرآن[٥٦] وقد أيّده الايازي [٥٧] وعبدالحليم النجّار[٥٨])[٥٩].

انّ هذا الكتاب يشتمل على ستة اقسام:

١-المرحلة الاولى للتفسير .

٢-التفسير الروائي.

٣-التفسير العقائدي.

٤-التفسير فى ظل التصوف الإسلامي.

٥-التفسير فى ظل الفِرق الدينية.

٦-التفسير فى ظل الحضارة الإسلامية.

وإضافات المترجم العربي للكتاب؛ والإضافات التغييرية، واختلاف قراءة الصحابة امثال ابن مسعود وابن كعب، وليثبت الكاتب ذلك استند تارة إلى قراءة ابن

مسعود، وفي تتمة الفصل يشير الكاتب إلى موارد من اختلاف القراءات وما يترتب عليها من اختلاف الفتاوى الفقهية والعقائدية الناجمة من هذه الامور فهو يعتقد أنّ الذين قالوا بجواز المتعة استندوا إلى القراءة التي جاءت بعد جملة «فما استمتعتم به منهنّ»(٦٢) جاءت عبارة «الى أجل مسمّى» أو لإزالة شبهة امكانية ان يحكم الله بغير الحق «أحكم»(٦٣) جاءت بصيغة الامر فغيّروها إلى صيغة المضارع في الآية مائة واثني عشر من سورة الانبياء.

ـ مؤلف هذا الفصل مع اقرار اختلاف التفسير بين المفسرين الاوائل وما هي الا اختلافات كلامية وفقهية، انه يرى ان نشوء تعدّد القراءات غير المشهورة والألفاظ العربية الشاذة في هذه القراءات أيضاً هي من سبب هذا التفسير.

كان جولدزيهر في خلال متن الكتاب يبرز اختلاف المذاهب الدينية ولهذا كان يبحث في حواشي الكتاب ليبين الفاصلة بين المذاهب ويحمد هذه الحركة التي بدأ بها اشخاص مذ ذلك الزمان امثال سيد جمال الدين الاسدآبادي والشيخ محمد عبده(٦٣).

١ـ٢ـ٢. دراسة اقسام الكتاب المختلفة(٦٤) :

أـ المرحلة الاولى للتفسير:

في هذا الفصل يبين المؤلف هدفه من تفسير القرآن والاختلاف المذهبي بين المسلمين انه على عقيدة أنّ المذاهب لتُضفي وجهة إلـهية وحقانية على منهجها لجأت إلى تفسير آيات القرآنية بطريقة ينتفعون بها. انه يعتقد أيضاً انّ اضطراب النص القرآني وعدم ثباته وتعدّد القراءات هيّأت الارضية لهذا التفسير، وبعدها وضّح اسباب تعدّد القراءات إذ رأى ان عدم التنقيط وتحريك النص القرآني هو السبب في ذلك.

القسم الاخير من هذا الفصل يتعرض إلى موضوع القراءات وحصرها إلى سبعة قراءات حسب رواية « سبعة احرف» وبجهد ابن شنبوذ، ومدى تأثير علم النحو والنحويين على هذه القراءات (٦٥).

ب ـ التفسير الروائي (٦٦):

الكتاب في بداية هذا الفصل يشير إلى منع التفسير من قبل الخلفاء وانه على اعتقاد انه استمر إلى أواخر القرن الثاني الهجري، ولتاكيد وقوف الصحابة امام التفسير يستشهد الكتاب باقوال بعض الصحابه، وباعتقاده ان شرح القصص القرآنية كان هو الجاري فقط عند الصحابة وهو السبب في دخول الروايات الاسرائيلية إلى المنابع الإسلامية.

واحدة من العوامل التي قوّمت هذه الطريقة في التفسير هي الرواية التي منعت التفسير بالرأي وباعتقاد المؤلف ان هذه الطريقة من التفسير تخص الآيات العقائدية وذلك لأنّ المفاهيم التي يتلقاها الانسان لا يمكن ان يصل فيها إلى درجة القطع واليقين من دون اسنادها إلى النبي واصحابه، انه يكتب في تتمة كلامه: مع ان المسلمين كانوا يعتقدون النقل في التفسير ولكنه بدليل عدم دقتهم في انتقائهم للروايات نجد هناك تعدد الروايات في قصة تنقل من فرد واحد، وفي ادلته على هذا: قول السيوطي انه لينقل من الروايات كان يستأذن من رسول الله ﷺ في احلامه أو قول مجاهد: «عندما كان ابن عباس يفسر الآيات كنت ارى النور في وجهه».

جولدزيهر على هذا الاعتقاد ان كثيراً من الروايات المنسوبة إلى ابن عباس هي غير صحيحة؛ إذ انه لم يبلغ من العمر ١٠ إلى ١٣ عاماً عند وفاة النبي ﷺ، وكذلك وجود روايات تشكك بحكمته وعلمه ؛وانه في كثير من الموارد كان يرجع في التفسير إلى «ابا الجلد» والتوراة واليهود.

المؤلف في تتمة الفصل يبين انه في الوقت الذي يعد ابن عباس اباً للتفسير

المأثور لا يستطيع جولدزيهر قبول رواياته وتفاسيره. وعلى العموم انه يرى ان الروايات المبالغ بها والتي وردت بحق ابن عباس تبعث التردّد والشك في تفسيره، ومن ثم يتحدث عن رواة التفسير ومدى تأثيرهم على التفاسير المتأخرة، والنتيجة التي يتخلص اليها من تناقض الروايات هو انه ليس للمسلمين اي كتاب للتفسير الروائي وان علماء المسلمين للتخلص من هذا المأزق قالوا بتعدد «وجوه» القراءات ونقلوا روايات بعنوان «القرآن ذو الوجوه».

والتفسير الاخر الذي تحدث عنه المؤلف هو تفسير الطبري فقد اثنى عليه كثيراً، ولكنه يعتقد ان هذا الكتاب كان مفقوداً إلى القرن الاخير وان القسم الاعظم منه ليس بمتناول ايدينا. وعلى اية حال فإنه قام بتوصيف النهج والطريقة المتبعة للتفسير في هذا الكتاب ومدى تحرر المفسر في رد الروايات والاقوال السابقة له وقد التفت المؤلف إلى مجالات القراءة واللغة الادبية ونقد الروايات وبيان مسائل العقيدة والتعصب المذهبي والابحاث الكلامية في هذا التفسير.

ج ـ التفسير العقائدي:

التفسير العقائدي أو طريقة التفسير بالرأي:

ان المؤلف في هذا الفصل على عقيدة ان هذا النهج في التفسيرهو النقطة المقابلة للتفسير الروائي، لكنه في بدايته لم يكن كذلك ويعتبر المعتزلة هم المؤسسون لهذا النهج التفسيري يقول المؤلف: انّ المعتزلة بعد ان رفضوا قول الجبرية اجبروا على طرح منهج تفسيريٍ ينسجم مع ذائقتهم.

وحسب عقيدة جولدزيهر ان اسباب نشوء مذاهب التفسير لم تكن علمية بحتة ويرى ان الاسباب العقائدية هي السبب الاساسي لنشوء النهج التفسيري وشاهد ذلك الصراعات الشديدة بين المسلمين بسبب اختلافهم في التفسير انه يرى ان من اهم الامور التي تخص هذا النهج في التفسير: موضوع التجسيم والتشبيه ورؤية الله

«عزوجل» وكون القصص القرآنية حقيقية أو رمزية فإنه قد درس هذه الموارد بالتفصيل وقد نقل فيها اقوالاً كثيرة. وانه ينسب فكر المعتزلة إلى مجاهد بن جبر.

في القسم الآخر من هذا الفصل تعريف الآثار التفسيرية للمعتزلة والذين منهم الشريف المرتضى.

وقد خصّ قسماً من هذا الفصل إلى عقائد المعتزلة، انه يرى ان كافة التعاليم الإسلامية ما هي الا تركيب منتقى من العقائد اليهودية والمسيحية والايرانية وغيرها، وتبعاً لذلك فإن الفعاليات الكلامية ـ العقدية لنصارى الشرق، وانه يرى في نشأة مكتب الاعتزال انه اول ظهور كلامي بهذا السبب، ومن ثم تعرض إلى كيفية انتقال افكار النصارى إلى المسلمين. الطائفة الاخرى التي لفتت نظره في التفسير العقلي هم «الواقفة» ان المؤلف يرى «عبدالله بن حسين الانصاري» الشخصية البارزة لهذه الطائفة، وقد وضح بعض افكاره قائلاً:(ان القرآن هو قائل بالفرقة، ولذا فإن القول بالقدر والجبر صحيح ومسند إلى القرآن. ولذا فقد عدّ الفريقين على الصواب؛ وذلك لأنّ الآية الواحدة لا تعطي معنيين متضادين».

هذه العقيدة التي لها نظرة متسامحة كانت قد طرحت من قبل في القرن ١٣ الميلادي بواسطة ابو الفضل الرازي[٦٦].

د ـ التفسير في ظل التصوف الإسلامي:

جولدزيهر يقول في اول موقف يتخذه قبال المعتزلة « من الصعب جداً ان نجد لأفكار الصوفية جذراً قرآنياً ومن الصعب اعطاؤهم الحق في تحميل افكارهم على القرآن »[٦٧]

ومن ثم تعرض إلى اصولهم العقدية مثل «وحدة الوجود» وقد عـدّ دلائلها. جولدزيهر في بداية الفصل وصف أفكار الصوفية بانها غير قرآنية وغير إسلامية، ولم

يقبل ان للنص القرآني ظاهراً وباطناً، ويعتبر ان لهذا النوع من التفسير جذوراً افلاطونية وفيلونية ويستند إلى الرمز والتأويل وليثبت هذا اشار إلى نموذج من تفاسير الصوفية وهو التفسير لآية النور.

المؤلف يعتبر ان بعض العقائد الصوفية المسندة إلى القرآن هي:

١ ـ ابن عربي.
٢ ـ اخوان الصفـا.
٣ ـ الغزالي.
٤ ـ الحلاج.
٥ ـ ابن رشد.
٦ ـ ابن سينا.
٧ ـ السهروردي.
٨ ـ السنائي.

في القسم الاعظم من هذا الفصل، يبين المؤلف بعض الشواهد التفسيرية للمتصوفة وتناقضها مع بعضها ومع التفسير المأثور، كما انه يعتقد ان المتصوفة تعمدوا تفسير الآيات خلاف ظاهرها ومثال ذلك ينقل رواية عن ابن عباس في تفسيره للآية١٢ من سورة الطلاق «إن فسّرتها رجمتموني قلتم كفر ابن عباس».

وكذلك ينقل رواية من أبي هريرة انه قال: (تعلمت من رسول (ص) ظرفين من العلم لقد نشرت اولها ولو نشرت ثانيها لضربوا عنقي) والذي يجب ذكره في خاتمة هذا البحث ان جولدزيهر أورد حجماً كبيراً من هذه الابحاث وتحليلها وهذا ما يخرج عن طاقة بحثنا ويستحق دراستها في مكان آخر.

هـ ـ التفسير عند الفِرق الدينية:

قد خص المؤلف هذا الفصل بتفاسير الشيعة ومن تبعهم، انه يرى اهم

خصائص مبادئ التفسير الشيعي في:

١ ـ المخالفة مع اهل السنة.

٢ ـ تقديس ائمة اهل البيت عليهم السلام والاعتقاد بمقامهم الإلهي.

٣ ـ الاعتقاد بالامام صاحب الزمان وظهوره.

٤ ـ الاعتقاد بان القرآن يختلف عن المصحف العثماني.

٥ ـ الاعتقاد بنقص القرآن الموجود.

٦ ـ تأويل كثير من الآيات القرآنية لصالح ائمة اهل البيت.

يرى جولدزيهر ان ظهور اول تفسير شيعي كان مع ظهور الخوارج وانطباق آيات من القرآن الكريم عليهم (مثل الآيه ١٠٤ من سورة الكهف والآية ٢٥ من سورة الرعد).

المرحلة الثانية من تفسير الشيعة بدأت بتطبيق الآيات القرآنية على الامويين ويشير إلى امثلة من ذلك، مثل تفسير «الشجرة الملعونة» الآية ١٠٦ من سورة الاسراء(٦٩).

انه يعتقد وجود مؤيدات لهذا النهج من التفسير في التفاسير الاولى لاهل السنة ويشير إلى نماذج منها، وكان لهذا النهج من التفسير تأثير على نشوء بعض المسائل الفقهية الخاصة.

وممن اهتم جولدزيهر بنهجهم التفسيري هم الغلاة، انه ومن دون تمييزهم عن الشيعة ؛عـدّ نهجهم التفسيري تابعاً للمرحلة الاولى من التفسير الشيعي.

وتطرق ايضاً إلى مسألة مصحف علي عليه السلام ونسب عقيدته الخاصة بهذا المجال إلى الشيعة. كما قال ان الشيعة الأوائل لم يعتقدوا بالمصحف العثماني(٧٠)، وكانوا دائماً يعتبرونه في الجهة المقابلة من مصحف علي عليه السلام، كما نسب التحريف إلى الشيعة حيث قال: ان من معتقد الشيعة ان سورة الاحزاب لم تكن بأقلّ من سورة البقرة وكانت

سورة النور اكثر من مائة آية(٧١) .

ومن ثم يذكر نماذج من آيات مختصة بالشيعة ولا توجد في المصحف العثماني، وقد زعم وجود سورة باسم «النورين»في ٤١ آية وكذلك سورة «الولاية» في سبعة آيات في كتاب نسبه إلى الشيعة الموجود في بيت في الهند باسم انكيبور(٧٢) .

الكاتب يشير إلى ان الشيعة حاولوا ان يعرضوا مصحفاً غير المصحف العثماني، مشيراً الى مصحف ابن مسعود فقد عده منها.

ويشير في تتمة بحثه ان الذي لفت نظره في مصحف علي هو طريقة ترتيبه، وقد اشار إلى بعض المصاحف التي يقال انها بخط علي عليه السلام .

وقد تعرض إلى موضوع الحجية في التفاسير الشيعية (٧٣)، فانه يعتقد ان الشيعة يسقطون التفاسير غير المنسوبة إلى احد الائمة عن الاعتبار، كما انه ذكر اسم بعض التفاسير الشيعية واستند إلى بعضها حول الآيات التي استشهد بها.

ويضيف: على الرغم من ان الشيعة قالوا بتحريف القرآن (٧٤)؛لكنهم استندوا إلى المصحف العثماني في ابحاثهم ولم يختلفوا مع السنة إلّا في قراءة بعض الآيات.

الكاتب يرى خصائص اخرى في تفسير الشيعة ومنها استخدام المجاز والاشارة وتفسير متشابهات القرآن في ذم بعض الصحابة(٧٥).

القسم الاخير من هذا الفصل قد خصصه الكاتب إلى المتشابهات في القرآن ونقد آراء بعض الشيعة تجاهها، وقد اتـهم هنا جميع الشيعة بالغلو في علي عليه السلام وفي آخر المطاف يشير إشارة مختصرة إلى الشيعة الفاطمية وإخوان الصفا وقد عـدّ البابية ايضاً من الفِرق الشيعية(٧٦) .

و ـ التفسير في ظل الحظارة الإسلامية:

يطرح المؤلف في بداية الفصل هذا التساؤل: هل يجتمع الإسلام مع الحضارة الجديدة ؟

انه يعتقد ان هذا التساؤل هو السؤال الاساسي لكثير من المسلمين وقد احبوا الاجابة على هذا التساؤل بكل اتقان، ولذا لم يكتف المحققون في ان يثبتوا عدم مخالفة الإسلام للتطور الحديث بل حاولوا ان يثبتوا ان الإسلام هو المحفز والداعي إلى هذا التطور، ولذلك نشأت مذاهب جديدة في التفسير.

الكاتب يعتبر امير علي واحمد خان بهادر وميرزا ابو الفضل في الهند والسيد جمال الدين الاسد آبادي ومحمد عبده في مصر من الدعاة إلى هذا الرأي. ويطلق عليهم تسمية «المعتزلة الجدد»، ويرى ان من اهم ما تميزوا به الانفتاح فيقول: هذه الخصيصة جعلتهم ينظرون إلى المنابع الدينية بعين اخرى بنحو ان اتباع المدرسة الهندية صاروا بصدد إلغاء حجية السنة والاجماع.

ومن جملة منجزاتهم طرح المواضيع الدينية الجديدة وترجمة القرآن إلى الانجليزية بحسب ترتيب نزوله.

وقد أورد قسماً مما اهتم به اصحاب النهج الجديد في مصر بهذا الترتيب: ان الدين الإسلامي هو دين عالمي موائم لكافة الازمنة والأمكنة وموائم مع الحضارة الجديدة، عوامل سقوط وانحطاط المسلمين، وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة، ملاحظة العنصر الزمني في الاحكام الإسلامية، ان باب الاجتهاد مفتوح، المخالفة مع الحيل الشرعية، انكار تقديس الاولياء والتدبر في الابعاد العلمية للقرآن.

القسم الاعظم من هذا الفصل خصصه المؤلف لدراسة نهج مدرسة محمد عبده ومدى تأثره بمذهب الوهابية، ويعتبر ان اهم المعالم لمدرسة محمد عبده هي: « عدم جواز تقديم أو تأخير الآيات، الوئام الكامل بين القرآن والعلوم التجريبية وذكر امثلة لهذا الوئام، دراسة النهج الاوربي، ضرورة معرفة النظريات الجديدة، تقديم قراءة تفسيرية جديدة بخصوص الجن ، الطاعون، تعدد الزوجات، المساواة بين الرجل والمرأة»(٧٧).

٢ـ٢ـ٢. نقد ودراسة الكتاب:

رستكار في توجيه الاخطاء التي وقع فيها جولدزيهر يقول:

«مع كل هذا، جولدزيهر وكتابه المصداق «الانسان واحد» و«الانسانية واحدة »فلابد من تخبطه في نفس الاطر التي تحكم كل «الناس» و«الانسانيات»، ولهذا السبب لا يستبعد ان يكون فيه وفي آثاره ـ حتى وان تصفحناها ـ نواقص وشيء من عدم النضج»(٧٨).

النواقص في كتاب جولدزيهر تتلخص في ثلاثة نقاط:

١ـ التناقضات.

٢ـ الاستشهاد بروايات غير مسندة.

٣ـ عدم رعاية اصول التحقيق.

١ ـ التناقضات:

نهج جولدزيهر في هذا الكتاب مدهش للغاية، فالذي اثبته في مكان ما قد انكره في مكان آخر؛ فمن جهة يقول ان الذي يقول به محمد ﷺ وحي ومن الجهة الاخرى يقول انها تعاليم والهامات شخصية، والمثال على ذلك انه يقول في اول الكتاب ان القرآن مضطرب النص وفي مكان آخر يقول انه عجيب في الثبات والاتقان.

أو يقول: ان الشيعة لا تقبل بهذا القرآن ؛ ويثبت بعدها مباشرةً كيف ان الشيعة وضعوا كل همهم لاثبات عقائدهم الدينية السياسية من خلال القرآن، فما ندري عمّ كان يبحث في نهجه هذا ؛ ايبغي فراق وتشتت المسلمين في العقائد الإسلامية، ام تحقير الإسلام والمسلمين وزرع بذور النفاق والفرقة بينهم؟ هل انّ فهمه لم يكن متسلسلاً ؛ ام انه يهدف من نهجه ايجاد التردد والزلل في القارئ ؟ ويبقى هذا الاحتمال انه لم يفهم بعض الامور، ولكن طريقته في البيان تبقى مدهشه.

كثيرون في الغرب نقدوا الإسلام والقرآن بصورة شفافة ، ولكن موقفهم كان صريحاً وواضحاً. وكثير من المستشرقين كانوا بصدد التعرف على القرآن والتعريف به ومع انهم ارتكبوا اخطاء في ابحاثم ؛ ولكن جهودهم تبقى مشكورة ومهمة ويمكن الإفادة من بعض نقاطها الايجابية، ولكن مؤلف هذا الكتاب كما يبدو كان يروم من خلال اخطائه اهدافاً غامضة يبغيها.

٢ ـ الاستشهاد براوايات غير مسندة:

تطرق المؤلف في بداية الفصل الخامس في عنوان «التفسير في ظل الفِرق الدينية» إلى التعريف بعقائد الشيعة وبيان موقفهم من القرآن ؛ وقد استند إلى بعض كتب اهل السنة كمصدر اساسي امثال **الملل والنحل** للشهرستاني، والملل والنحل لابن حزم الأندلسي وكتب اخرى، والتي فيها قيل وقال كثير عن الشيعة.

الاغرب من ذلك كله استشهاده بروايات من ائمة الشيعة من هذه الكتب ويقول بانها عقيدة الامام الباقر عليه السلام أو الامام الصادق عليه السلام وانها عقيدة الشيعة. والحال ان نقل رواية واحدة من كتاب واحد ولو كان معتبراً ليس دليلاً لننسب عقيدةً لإمام؛ وذلك لان وجود رواية واحدة أو مجموعة من الروايات ليس دليلاً على صحتها واعتمادها، وعلى فرض ان الخبر موثوق يجب ان تدرس دلالاته وتقاس مع الروايات الاخرى، أإنها مجملة أم مبيّنة، محكمة ام متشابهة، خاصة ام عامة، وأن تُقيّم من جهات اخرى، هذا فضلاً عن ان الخبر الواحد غير كافٍ لإثبات العقيدة.

كل هذه الموارد تصدق عندما يكون الخبر من المنابع المعتبرة فكيف بغير المعتبرة والتي حتى لم يثبت نسبتها لمؤلفيها.

جولدزيهر اتبع هذا النهج ليعرف عقائد الشيعة ؛فانه ذهب إلى المصادر النادرة والمنكرة ليقول ان الشيعة ليس لهم عقيدة بالقرآن الفعلي، وان كافة محاولاتهم في مجال تفسير الآيات القرآنية كانت لاهداف فِرقية ومذهبية.

إن كنا بصدد التعريف لنهج جولدزيهر بجملة واحدة وخصوصاً في القسم الخامس من الكتاب: انه جمع النصوص المتناثرة من هنا وهناك ليبين عقائد المسلمين ولكنه لم يبلغ كنه المعرفة الدينية.

٣ ـ عدم اعتماد اصول طريقة التحقيق:

الطريف في نهج جولدزيهر انه تجاهل في بعض الموارد الاصول الاولية لطرق التحقيق، فإنّ أحد اهم اصول التحقيق هو ان عند دراسة عقائد أي فرقة يجب استحصال المنابع والمتون المعتبرة عند تلك الفِرقة لا ان نبحثها في مصادر مخالفيها؛ وكما رأينا لم يتبع جولدزيهر هذا الاصل، إذ انه لم يستند إلى الكتب المهمة والاساسية في التفسير والكلام عند الشيعة، بل استند إلى كتاب الملل والنحل والموسوعات لاهل السنة والتي في صحتها بحث مفصل، أيمكن القول ان المؤلف لم يكن على علم، ولكن أنّى لهذا الاعتذار لمثل هذا المحقق، هذا فضلاً عن اخطائه الواضحة فقد عدّ الامام جعفر الصادق عليه السلام الامام الخامس (ص٢٦١) أو في تفسير بيان السعادة للگنابادي (م ١٣٢٧ هـ.ق) الذي تم تأليفه في القرن الرابع عشر وقدّمه المؤلف في عام (٣١١ هـ.ق) في (ص ٢٠٨)، أو يعد مواضيع كتاب منحول ومنسوب مبنى عقائد الشيعة، وأنه ايضاً قد نسب العقائد إلى غير اصحابها، أو أنه ينسب عقيدة فرد من الشيعة على حساب كل المذهب.

مع كل هذا فإن مطالعة هذا الكتاب للتعرف على نهج المستشرقين في البحث وايضاً للتعرف على سيرة التفسير التحقيقي وأُسس التحقيق بخصوص الشيعة مفيد للغاية، ولا حاجة للتأكيد على وجود بعض الابحاث المفيدة في هذا الكتاب ؛ وإن تحدثنا عن اشكالاته فهذا ليس بمعنى انه عارٍ من الايجابيات فذاك لكي لا نغفل عن جوانبه التخريبية واشكالاته الواضحة(٧٩).

٣ ـ تحليل واستنتاج الدكتور رستكار:

الدكتور برويز رستكار بعد دراسة النص الالماني والعربي والفارسي ومقايستها مع بعضها استخلص الاشكالات في كتاب جولدزيهر كالآتي:

١ ـ واحدة من اهم نقاط الضعف المنهجية في عالم البحث والتحقيق ترجع إلى التركيز الفائق عن الحد للمحقق على عامل من العوامل عندما يكون بصدد تفسير اسباب هذا الحدث أو ذاك؛ وهذا الضعف سيؤدّي في العمل على نشوء اسباب وعلل متعددة للحادثة الواحدة ومن ثم قصرها على علة واحدة والتغافل عن العلل الاخرى وهذا ما يسمى بالتبسيط، ففي هذا الكتاب لجولدزيهر وخصوصاً في القسم الاول منه(٨٠) كان ذلك بيّناً بحيث ان مترجم الكتاب من الالمانية إلى العربية قد اشكل عليه(٨١).



٢ ـ ان الحمية العنصرية المذهبية لقوم اليهود وفي قالب نظريتهم القديمة ونظرتهم إلى اتباع باقي الأديان تؤدي قهراً إلى نقد النصوص الدينية والمحاور المقدسة وطردها وتضعيفها عند الآخرين.

وأمّا وصفه للنص القرآني بأنه مضطرب وبهذه الصراحة؟! فهو متناقض بذاته(٨٢) ويتعارض مع ما اورده نفسه في كتابه(٨٣)؛ وذلك كله بسبب تلك الحمية العنصرية(٨٤).

٣ ـ النزول بالتعاليم الإسلامية إلى حد حصرها بما جاء في الاديان السابقة وانكار اي جديد فيه، أو فيما جاء به المسلمون (٨٥)، ومع الاسف نرى هذا النهج الطفولي والساذج يتبع لكثير ممن يحمل عنوان الباحث الإسلامي المعاصر «المنفتح» وبالخصوص الغربيون منهم، اولئك الذين يختفون خلف نقاب جميل ويتفوهون بما يشاؤون باكاذيب تمتنع بذاتها.

٤ ـ قياس بعض ادعاءات المسلمين لا التعاليم الإسلامية مع تعاليم الاديان

السابقة والاستنتاج بان الإسلام ليس بمجدد(٨٦) (منّا وعلينا)!

٥ ـ النظـرة إلى الإسلام من زاوية تفاسير اهل السنة ونرى تأثيرها في القسم الاول من الكتاب(٨٧).

٦ ـ الاستناد إلى أكاذيب وادعاءات ايازي (٨٨) وعبد الحليم النجّـار (٨٩)و اعتمادها(٩٠).

٧ ـ التناقض في الاقوال والاضطراب في النـص(٩١).

٨ ـ استخدام التعابير المبهمة والمُخـطئة امثال: «احد ثقاة القراءة»(٩٢) و«بعض العلماء»(٩٣) التي أدّت إلى اعتراض مترجم النص الالماني إلى العربية(٩٤).

٩ ـ انه بنقله للاخبار غير الصحيحة(٩٥) قد اوقع نفسه والآخرين في زلات؛ بحيث اشكل عليه مترجم النص من الالمانية إلى العربية وقد عدّه «مدلساً»(٩٦).

* هوامش البحث *

١ـ الخرمشاهي، ١٣٧٧ هـ. شـ ١٤٢٠ هـ. ق، ج ٢، ص ١٩٢٠ ـ ١٩٢١

2. IgnazGoldziher

جاء في الترجمة اسمه على صيغة جولدسيهر ايضاً.

٣ ـ جولدزيهر، ١٣٥٧ هـ. ش ـ ١٤٠٠ هـ. ق، ص ٣٩.

4. vambery .

5. Rodiger

6. Fleischer(1800 – 1888)

7. SnouckHurgronie(1857 -1927)

٨ ـ ماسينيون، لدار النشر: بيتا.

٩. في اعوام ١٨٧٤ ـ ١٩٠٤ م

10. wellhausen .

١١ ـ جولدزيهر، السابق، لوية ماسيون، يقول بهذا الخصوص:

ان روزن (Rose) واسنوك (Snouck) بدراسة كتاب اساطير اليهودية توصلوا الى:

ان جولد زيهر قد افرط في الانحياز إلى اليهود. (ماسينيون، نفس المصدر)، ولهذا قد نقلت مكتبته الخاصة إلى فلسطين المحتلة. ويكتب بابينكر بهذا الخصوص في مقدمة الطبعة الثانية لكتاب دروس حول الإسلام:

A. S Yahuda the goldziher library in the jevish chronicle supplement .

مع الاسف ان المكتبة الفريدة لجولدزيهر ليست بمتناول القارئ الاوربي، حيث قد نقلت إلى اورشليم.

في تاريخ ٢٥ آورين ١٩٢٤ الرقم ٤٠ ص ٤ إلى ما بعدها، وكذلك من قبل الكاتب نفسه.

Die bedeutung der golziherschen

Bible athek اهمية مكتبة جولدزيهر في darjuge الناشرN. Buber السنة الثامنة، برلين. ١٩٢٤ ص ٥٧٥ ال ٥٩٢ (جولدزيهر ١٤٠٠ هـ. ق ص٣٥)

١٢ ـ نجيب العقيقة في الصفحة ٩٠٧ و٩٠٨ المستشرقون (ج ٣) قد فهرس جميع مؤلفات جولدزيهر كالآتي:

«آثاره: وفيرة منوعة نفيسة، عن الإسلام، وفقهه، والادب العربي، اشهرها بالانجليزية (ليزيج ١٨٧٠) وآداب الجدل عند الشيعة، بالالمانية (ليزيج ١٨٧٤) والاساطير عند اليهود (ليزيج ١٨٧٦، ثم ترجمه إلى الانجليزية ١٨٧٧)والإسلام، بالالمانية وهو كتاب لم يضاها حتى الآن على ما فيه من هفوات في مقارنة التوحيد (بودابشت ١٨٨١ ـ هايدلبرج١٩١٠ ثم نقله ارن إلى الفرنسية، باشراف المؤلف بعنوان: العقيدة والشريعة في الإسلام، باريس ١٩٢٠، ثم نقله إلى العربية الدكتور محمد يوسف موسى والاستاذ عبدالعزيز عبد الحق، ودرس في الإسلام، في جزئين كبيرين (هاله ١٨٨٥ ـ٩٠)وبحث فلسفي في فقه اللغة، بالالمانية، في مجلدين(ليدن ١٨٩٦)ونشر ديوان الخطيئة، بشرح السكرى متنا وترجمه وعلّق عليه (ليزيج ١٨٩٣)ونقل إلى الالمانية كتاب توجيه النظر إلى علم الاثر لصديقه الشيخ طلهر الجزائري (١٨٩٨)ونشر كتاب المعمرين للسجستاني (ليدن ١٨٩٩)والعقائد والشرائع عند المرجئة (١٨٩٩ والقدرية والمعتزلة ١٨٩٦)و جزءً كبيرا من كتاب المستظهرية في فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية للغزاي بمقدمة في ٨١ صفحة (ليدن ١٩٠٦، ثم كتب عنه بالالمانية فصلاً في ١١٢ صفحة) ومن بحوثه الممتعة: مقالة في كتاب اسرائيلي في اسماء الله الحسنى (ليزيج ١٨٩٣) وتفسير



بعض آيات الله السريانية التي وردت في القصيدة الجاجوقية (الدراسات الشرقية لنولدكه ١٩٠٦). ودواوين القبائل (انجلة الآسيوية البرطانية ١٨٩٧) والخطيب عند العرب (الصحيفة الشرقية لفينا ٦، ٩٧) والتقية في الإسلام (ملحق المجلة الشرقية الالمانية ١٩٠٦) وفي المجلة الشرقية الالمانية: ديوان الحطيئة، والكتابة في الجاهلية، وامثال العرب والصحيفة الكاملة المنسوبة إلى زين العابدين، والشيعة، وكتاب الملل والنحل، وفتوى من الفتاوى، وابن ابي العقب (١٨٩٧ ـ١٩٢١) وله بالفرنسية: رسالة في السامري، وعجل الذهب (المجلة الافريقية، ثم على حدة) ومنوعات يهودية عربية. (مجلة الراسات اليهودية ١٩٠٦) والحدث في الإسلام (الدراسات الاشورية (١٩٠٩)و نبذة عن ايمان العرب (منوعات دينبرج١٩٠٩). وفي الإسلام: اخوان الصفا (١٩١٠) ومربع(١٩١١) وفخر الدين الرازي (١٩١٢) ورسالة الحين ابن منصور الحلاج، نقد فيها كتاب الطواسين لماسنيون باسلوب لم يسبق إليه (١٩١٣) والبخاري (١٩١٥-١٦) والمعتزلة والمترادفات العربية (١٩١٨) (١٩١٥-١٦) وأسماء العرب (١٩٢٨). وفي غيرها تكريم الأولياء في الإسلام (عالم الإسلام١٩١١-٢١٢) ودراسة عن النبي (انجلد الآسيوية البرطانية ١٩١٢) والاجماع (مجمع علوم الفلسفة والتآريخ ١٩١٦) وعيادة المريض (الدراسة الاشورية ١٩١٨ – ١٩)و البدعة (نشرة الدراسات العربية ١٩٤٢)».

13. DieRichtungen der islamischenkoranauslegung (vorlesunK gen leiden 1920 Brill ,X392 seiten) [VI band rverofftlichungen der de goeje – stiftung] .

(المجلد الرابع لنشر موقوفه «د. كويه»). لقد اختار المترجم الايراني لهذا الكتب اسم «درسهايي در بارۀ إسلام» أي: دروس حول الإسلام.

١٤ـ هذا العنوان ترجمة لكتب مذاهب التفسير الإسلامي

١٥ ـ جولدزيهر في كتابه هذا لم يُشر إلى مذهب الظاهرية فقط بل درس المذاهب الفقهية المختلفة في الإسلام وبيـّن اختلاف مناهجهم مع الظاهرية كما تحدث عن وجوه التشابه والاختلاف بين هذه المذاهب وتعرض إلى السيرة التأريخية لمذهب «الظاهرية» ويستشهد في كتابه بمصادر لم تطبع بعد، ومن هذه الزاوية تتبين اهمية الموضوع حيث قال منزوي بهذا الخصوص: «ان اول تحقيق قيـّم قام به كلديرن في دراسة الإسلام هو كتاب (الظاهرية مذهب وتأريخ) الذي طبع في عام ١٨٨٤، على الرغم من ان عنوان هذا الكتاب يختص بمذهب الظاهرية ؛ولكنه في الحقيقة دراسة قيمة لتأريخ الفقه.

كما درس فيه مذاهب قد انقرضت ولم يعد يذكر لها اتباع ولم يتحدث عنها احد لفترة طويلة.
انه هنا قد درس تأريخ الفقه واصول المذاهب الفقهية وتحدث عن الاجماع والخلاف بين زعماء المذاهب ومدى الرابطة بين المذاهب الاربعة والظاهرية، وعن وجوه الاختلاف وخلص إلى قراءة كلية لماهية الفقه.
انه في هذا البحث قد ذهب إلى النهج نفسه الذي اشرنا إليه وبين مدى رقيّه وتكامله، ومن ثم تطرق إلى نشوب المباني الظاهرية إلى الابحاث الكلامية بعد ان كانت في الابحاث الفقهية، وتطبيقها على العقائد المذهبية على يد ابن حزم، وقد رسم مخططاً بيانياً لسيرة تكامل المذاهب الداخلة في هذه الحدود إلى ان تصل إلى زمن تيميه والمقريزي.
ما زاد من اهمية هذا الكتاب ان كثيراً من مصادره كانت لم تطبع بعد ؛حيث كان يجب مرور خمسة اعوام ليطبع كتاب كبير في الابحاث الإسلامية وخصوصاً الحديثة.
القسم الاول من هذا الكتاب قد نشر باسم «دراسة عن المحمدية »في عام ١٨٨٩ وقد نشر القسم الثاني بعد سنة منها.
في القسم الاول حديث عن عبادة الاصنام والإسلام وهي قراءةٌ جديدةٌ عما هي عليه الحال لمعاصريه من المستشرقين امثال ولهاوزن وآخرين غيره:
ان حمية العرب في عبادة الاصنام لم تقم ضد العرب وحسب، بل كانت ضد المسلمين الاعجميين ايضاً، جولدزيهر يدرس بمهارة الصراع بين حمية العرب عبدة الاصنام المتميزين بخصائص الرجولة والارستقراطية والعنصرية العربية والتكبر على الآخرين وبين الروحية الإسلامية الديمقراطية القائمة على المساواة «لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى »، وهذا النزاع الصعب ادى إلى تحطيم حمية الجاهلية العامة للاصنام والارستقراطية العربية وانتصار الديمقرطية الإسلامية، ولكن لم يمض طويلاً لعودة النزاع نفسه، هذه المرة بين نفسية النازية والفارسية، بين الوحوش المنتصرين والمتمدنين المغلوبين ، هذه المرة ايضاً كانت الركسة في العرب. وبقي انتصار العرب مقصوراً على اللغة والشعر والفقه شيئاً ما.
على نقي منزوي يعتقد ان القسم الثاني من الكتاب الذي تضمّن أبحاثاً حديثية هو الاكثر اهمية من القسم الاول، انه يضيف: «ان القسم الثاني من الكتاب هو اكثر اهمية من القسم الاول وخصوصاً نصفه الاول حيث تضمّن اكبر تحقيق لدراسة الحديث والذي يعد مقدمة للابحاث المتسلسلة التي جاءت بعده إلى يومنا هذا، جولدزيهر في هذا القسم كانت له نظرة دقيقة في ترسيم معالم التأريخ الحديث وتطوره، فلم يقيّم الحديث بعنوانه حقيقة بحتة، بل بعنوانه مرآة تعكس الحركات السياسية والمذهبية ومعنوية المجتمع الإسلامي، حيث كان الحديث سلاحاً تتخذه الفِرق المذهبية الإسلامية في صراعاتها المذهبية والتشكلات والنزاعات السياسية

لتنتصر وتتفوق على بعضها معنوياً، ولذا فإنّ قيمة الحديث ليست في محتواه، بل في مفردات الحديث التي ترصد اليها الفِـرق لتلبي مآربها.

بكر في مقدمة لطبعة عام ١٩٢٥ (دروس) يقول ان اكتشاف هذه القراءة والتي بانت الآن للجميع ما هي الا حصيلة عبقرية كلدزير، ويرى دليلاًآخر لنبوغ جولدزيهر وهو في القسم الثاني عندما تحدث بخصوص تقديس « الأوليـاء » في الإسلام وماهية هذا التقديس ويبين الرابطة بين هذه العقيدة وعقيدة الوثنيين في الجاهلية، كما صنّـف الاولياء جغرافياً وتحدث عن مختلف الاولياء.

١٦ ـ هذا النص قد طبع في نشرة وقد عربها عبد الرحمـن بدوى في نشرة كما اوردها في كتاب التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية.

جولدزيهر وقع في خطأ كبير لا يتوقع للمستشرقين الذين يفقهون اللغة العربية حيث انه يسعى فى هذه المقالة أن يثبت أن ائمـة الشيعة كـكبار علماء السنة خالفـوا «المنطق اليوناني» ويستند إلى رواية عن الامام الصادق عليه السلام في اصول الكافي (ر. ك: الحسيني الطباطبائي ١٣٧٥هـ. ش ـ١٤١٨هـ. ق، ص ١٠٧)، بالاضافة إلى انه طبع فصولاً من كتاب فضائح الباطنية أو المتظهرية من تأليف ابو الحامد الغزالي عام ١٩١٦ كتب مقدمة لكتاب التوحيد من تأليف محمد ابن قومرت (الملقب بالمهدي) مؤسس دولة الموحدين في المغرب وكذلك كتب ملحقاً في كتاب المعمرين من تأليف ابو حاتم السجستاني وطبعه. وتوجد مقالات اخرى قد طبعت اهمها فى موسوعـة الإسلام (EI).

١٧ ـ في عام ١٩٨١م. (الحسيني الطباطبائي، المرجع السابق، ص ١٠٠)

١٨ ـ «والحق ان الكتاب في شـؤ ما الف عن الإسلام وأسوأ ما وجه إليه من طعنات وان التعليقات القليلة التي جاءت في ذيل بعض الصفحات، في الترجمة العربية، كانت سدوداً محدودة امام موجات طاغية من الافك والعدوان».

١٩ ـ جولدزيهر، ١٩٥٩، ص ٣٠.

٢٠ ـ ص ٣٠ من الترجمة العربية للكتاب.

٢١ ـ الحج ٣٨.

٢٢ ـ التورات، سفر الخروج، باب ١٣.

٢٣ ـ نفسه، باب ١٤.

٢٤ ـ طـه، ١١٠.

٢٥ ـ فصلت، ٥٤.

٢٦ ـ الشورى، ١١.

٢٧ ـ التوبة، ٢٦.

٢٨ ـ الانفال ١٢.

٢٩ ـ الاحزاب، ٤٥ و٤٦.

٣٠ ـ الاحزاب ٢١.

٣١ ـ نفسها.

٣٢ ـ الزمخشري، بلا تاريخ، ج ٣، ص ٥٣١، ذيل الآية ٢١ من سورة الاحزاب.

٣٣ ـ القلم، ٤.

٣٤ ـ آل عمران، ٣١

٣٥ ـ الاعراف، ١٥٨.

٣٦ ـ الحسيني الطباطبائي يكتب بخصوص آراء جولدزيهر: «كانت الفرضيات والنظريات تجول في ذهن جولدزيهر ولذا كان يبحث في المتون الإسلامية ليتشبث بنص ليثبت نظرياته ولذا تارة وقع في خطأ وتارة خطأ في فهمه للنص العربي وتحدث بكلام لا يناسب النص (الحسيني الطباطبائي، المرجع نفسه).

ايازي ايضاً في مقدمة كتاب النزعات التفسيرية بين المسلمين حين دراسة الكتاب المذكور يؤكد ان من دون دراسة كتاب محاضرات حول الإسلام (او كما يزعم دروس حول الإسلام)لا يمكننا الحكم على كتاب النزعات التفسيرية بين المسلمين.

٣٧ ـ جولدزيهر، ١٣٨٣ هـ. ش ـ١٤٢٦ هـ. ق، صص١٣ و١٤. ايازي يضيف: «اذا قلنا ان جولدزيهر لم يفقه شيئاً من التعاليم الإسلامية وكانت نظرياته مجرد معلومات متناثرة جمعها من هذا الكتاب وذاك وكان في انتقائه يتبع هدفاً خاصاً فلم نقل خلافاً.

ففي المعمول عندما يريد المحققون تقديم بحث ما يجب في البداية الالمام بالموضوع ومن ثم تأطير الاهداف والرؤى والنتائج ومن ثم نبدأ بالكتابة، اما في كتابات جولدزيهر فنرى من البعثرة والتناقض ما يوجب ان احسنا الظنّ به ان نقول: انه كان بصدد جمع معلومات متناثرة كي يتمكن من تحقير الإسلام، وان يجعل من هذا الدين السماوي حركة صغيرة بدوية فانية، ولذا كان يقفز من هذا النص إلى ذاك ليجمع ما يخدم نظريته. ولذا نرى مع انه يتخذ من اتفه الاحداث أو الاقوال مرمى لأهدافه، يغفل امام وقائع تأريخية كبيرة من ذلك قوله ان ثلث القرآن نزل بمكة والحال نزول ٨٢ من السور القرآنية من أصل ١١٤ سورة اي ثلثي القرآن، وكانت مدة رسالة النبي فيها ١٣ عاماً.

ولكي لا نبالغ نورد نصاً من نصوص الكاتب ليتبين كيف انه تجاهل الأهداف العظيمة الإسلامية في نبل الإنسانية وصناعة المجتمع والمثل الاخلاقية؛ وكيف تمكن من تحويل المجتمع

البدوي إلى مجتمع متحضر:
«اذا كان في الدين الذي جاء به محمد من جديد، فهو الجانب السلبي للوحي الذي كان يرجى منه ان ينجي الناس من عباداتهم ومظاهرهم الاجتماعية وحياتهم القبلية والوحشية والقساوة والبربرية وعبادة الاصنام » (جولدزيهر ١٣٥٧ هـ. ش ـ ١٤٠٠هـ. ق، ص ٢٠١):
« نرى ان بعض الجذور المسيحية للقرآن المحرفة والتي وقعت في ايدي محمد هي من روايات نصارى الشرق المبتدعة، وقد اضيف اليها شيء من العرفانيات أحياناً » (نفسه ص٢١).
من منطلق عدم إلمامه الكامل بالإسلام، فإنه عـدّ الدستورات الدينية مقتطفة من اليهود والنصارى، أو انه تعلمها من رحلاته التجارية، وان كان هناك جديد في دين محمد فهو الوقوف امام الخرافات والقسوة والوحشية، ولا يذكر شيئاً عن التعليم حول العدل والاحسان وحرية العقيدة (النحل: ٩٠؛ الرحمن: ٦٠؛ البقرة: ٨٣ و٢٨٦) ودعوة الناس إلى العفو والاحسان إلى الوالدين والادب (البقرة: ١٧٨؛ الاسراء ١٧؛ القصص: ٧٧)؛ ليست بالالزام انها تعاليم الاديان السابقة، فانه رأى الدين سلبياً فقط؛ كما راى ان الفرق بين القصص القرآنية والتي عند جاءت عند اليهود والنصارى (والحقيقة ان هذه القصص تختلف في الاناجيل نفسها عندهم)، عدّها حرفت في الإسلام أو هي من وضع النصارى القدماء (جولدزيهر ١٣٨٣هـ. ش ـ ١٤٢٦هـ. ق، ص ١٥ – ١٦).

٣٨ ـ جولدزيهر في احد اقسام كتابه دروس الإسلام (ص ٤٠) يُستنبط من كلامه ان رسالته عالمية لكل الناس ؛على الرغم من انّ القراءة التي يقدّمها عن الدين مخالفة لما اورده عن النبي صلى الله عليه وآله .

٣٩ ـ ص ٦ و٦ من اصل الكتاب.

٤٠ ـ ص ٧.

٤١ ـ ص ٩.

٤٢ ـ ص ١٠.

٤٣ ـ ص ١١ .

٤٤ ـ ص ١٨ (جولدزيهر ١٣٨٣ هـ. ش ـ١٤٢٦هـ. ق، ص ١٣ ـ١٤).

٤٥ ـ جولدزيهر، (١٣٥٧ هـ. ش ـ١٤٠٠هـ. ق، ص ٤٤–٤٥).

٤٦ ـ الفهرس للقسم الخامس وقسم من السادس جاءفي ملحق هذه المقالة.

٤٧ ـ الترجمة العربية الاولى كانت في عام ١٩٤٤م لعلي حسن عبدالقادر، ولكنها لم تشمل كل الكتاب.

(صادقي، ١٣٧٩ هـ. ش ـ١٤٢٢هـ. ق).

٤٨ ـ رستگار، ربيع ٨٣ ١٣هـ. ش ـ١٤٢٦هـ. ق، ص ٣٦.

٤٩ ـ نفسه، بنقل من السيد حسن الإسلامي في كتاب مرآة التحقيق، ش ٨٧، ص ٢٥-٣٦.
٥٠ ـ جولدزيهر، ١٣٨٣، ص١٧.
٥١ ـ الدكتور برويز رستگار من خرجي الحوزة العلمية والجامعة، فبالاضافة إلى مقالاته الداخلية الكثيرة طبعت عنه عدة كتب في الرجال وعلم القرآن، وانه في الوقت الحاضر الاستاذ وعضو الهيئة العلمية في جامعة كاشان(ايران).
٥٢ ـ نفسه (الترجمة الالمانية إلى العربية)، في هوامش متعدد لعدة صفحات.
٥٣ ـ للمثال، ر. ك: نفسه، ص ٩٧، س ١٢و ص ١٢٦، س ٣.
٥٤ ـ للمثال، ر. ك، نفسه ص ١٤، السطر الاخير – ص ١٥، س وص ١٢٨، س ٧.
٥٥ ـ للمثال، ر. ك: نفسه، ص ١٦، س ٣-٦ وص ٣٤، س ١٥ إلى ما بعدها.
٥٦ ـ نفسه، في اماكن متعددة.
٥٧ ـ نفسه (الترجمة العربية إلى الفارسية)، ص ١٦، الفقرة الاخيرة ص ١٧ إلى ما بعدها
٥٨ ـ نفسه (الترجمة الالمانية إلى العربية)، ص ٣، الفقرة الاخيرة، ص ١٧ إلى ما بعدها
٥٩ ـ رستگار، السابق، ص ٤٥، الدكتور رستگار عمل مقارنة بين النص الالماني والمتن المترجم إلى العربية، انه يعتقد ان مترجم الكتاب من العربية إلى الالمانيةعبد الحليم النجار قد استعجل في ترجمته وانها حافلة بالاخطاء ومغايرة للمتن الاصلي هذا بالاضافة للاخطاء التي ارتكبها مترجم النص إلى الفارسي، فإنّ النص الفعلي غير قابل للاعتماد، وقد علق الدكتور رستكار على الترجمة من الالمانية إلى العربية: «المترجم عبد الحليم النجار وبحسب قوله، قد استعجل في ترجمة النص بسبب مشاغله، وقد اعترف بذلك.
١ ـ ان إدعاءات جولدزيهر تنسجم مع عقائد اهل السنة والصبغة السنية الإسلامية التي كان المستشرق يضيفها على آرائه والتي كان في صدد بحثنا ونقدها، فإن السكوت المؤيد لمترجم الكتاب من الالمانية إلى العربية في كثير من الموارد كان بصمة تأييد على اقواله، ثم انه لم يضع رمز النجمة التي كان يستخدمها لبيان ملاحظاته في الهامش(٣).
٢ ـ بعض مخالفاته أو دفاعه عن ادعاءات جولدزيهر تنسجم مع المذاق السني ولهذا ترجع اغلب ملاحظاته إلى القسم الاول والتي تختص باقوال المستشرقين الآخرين.
٣ ـ على الرغم من الاعتذار الذي قدمه المترجم في مقدمة الكتاب الا ان ملاحظاته على الادعاءات الكاذبة لجولدزيهر كانت قليلةً ونادرةً، بحسب ما عدّه مترجم الكتاب من العربية إلى الفارسية السيد الطباطبائي انها مجرد ١٢٧ ملاحظة !، وكما اشار السيد الطباطبائي «ان دراسة الاخطاء التي ارتكبها جولدزيهر يتطلب عمل مجموعة من المحققين في التأريخ والتفسير والفقه واللغة والعلوم المرتبطة ليقفوا على عقائده وينقدوها.

٤ ـ السكوت عن الاخطاء الفضيعة التي ارتكبها جولدزيهر، كقوله ان السيد المرتضى من المعتزلة وعدّه علي بن طاهر على الرغم من انه شيعي امامي ونسبه يرجع إلى علي بن الحسين! وكذلك سكوته على اصرار جولدزيهر ان القرية التي رفضت استضافة موسى وصاحبه كانت تدعى «أُبـلُه» على الرغم من ان غالبية المفسرين قالوا بأنها «ايـله»!، وعدم الالتفات إلى ان الآية التي تضمّنت قصة أهل القرية٧٧ لا ٧٣ !

٥ ـ المترجم يميز ملاحظاته برمز نجمة في الهامش لكنا نرى ان مع ازدياد ملاحظاته عن واحدة عدم ازدياد رموز النجمات إلى نجمتين للملاحظتين مثلاً !

٦ ـ عند عدّ رمز النجمة التي استخدمها الدكتور عبد الحليم النجار في القسم الاول من الكتاب تفوق بكثير بالنسبة إلى كل ملاحظاته؛ ونستقرئ من ذلك ان اقوال المستشرقين المذكورين في هذا القسم وعلى الرغم انها تنسجم مع الذائقة السنية الا انه يرفضها ويعدها بعيدة عن قراءة اقرانه في الإسلام.

٧ ـ كما اعترف مترجم الكتاب من الالمانية إلى العربية انّ عدد اخطاء هذه الطبعة ليست بقليلة؛ ولهذا السبب فإن المفردات التي جاءت بصيغ «النزغات» و«نزغات» هي في الاصل «النزعات» و«نزعات» وإضافة النقطة وتبديل «العين» الى«غين» هو مجرد خطأ في التصحيف فكثيراً ما تحدث اخطاء في التنقيط في العربية؛ على الرغم من ان نقدنا بخصوص هذه الترجمة لهذا الكتاب من المتن العربي إلى الفارسي قد اوردناه على القراءة التي اوردناها في هذه المقالة!

٨ ـ واحدة من النقاط التي اشكل بها المترجم على جولدزيهرهو اسناد قول احد إلى غيره على الرغم من ان هذه المؤاخذة واردة في محلها، وان حدوث مثل هذا الخطأ من هذا المستشرق وبهذا المستوى ليس بجزاف، الا انه كان يتوقع من الدكتور عبد الحليم النجار ان يلتفت إلى الزلات التي وقع فيها جولدزيهر لنسب الاقوال للاشخاص في الفصل الرابع من الكتاب ؛وان يكـذب ما ادعاه ابن عربي وعبد الرزاق الكاشاني، الحال ان في هذا الفصل توجد ٨ ملاحظات فقط وليست بهذا الخصوص، (رستكار: نشر بيشين، ص ٤٦ – ٤٨).

٦٠ ـ صادقي ١٣٧٩ هـ. ش ـ ١٤٢٢ هـ. ق، صص ٩٢ –٩٣

٦١ ـ على الرغم من اصل الكتاب وترجمته في متناولنا، ولكن بسبب اني قد رأيته عام (١٣٨٠هـ.ش ـ ١٤٢٣هـ.ق) ولأول مرة في متن رسالة في مكتبة مركز الثقافة والمعارف القرآنية وقد اقتنصت اصل الفكرة لتوضيح اقسام هذا الكتب منها ؛يبدو لي ولحفظ الامانة العلمية ورعاية تقدم تحقيق المحقق الفاضل الاشارة إلى ذلك.

٦٢ ـ النساء ٢٤.

٦٣ ـ « قال ربي احكم بالحق»، انبياء ١١٢

٦٤ ـ ص ٢٩ – ٧٤ الترجمة الفارسية للاثر لاول دورة تفسيرية بهذا الخصوص.

٦٥ ـ هذا القسم ايضاً ٣٥ صفحظ من ٧٥ إلى ١١٠ خاص بي.

٦٦ ـ القسم الثلث في ٦٣ صفحة (١١١ – ١٧٤).

٦٧ ـ صادقي ١٣٧٩ هـ. ش -١٤٢٢ نقلاً من مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٢٠.

٦٨ ـ هذا القسم في ٦٥ صفحة (١٧٥-٢٤٠).

٦٩ ـ حسب ما ينقله المفسرون ومنهم الطبري (ج ٩، ص١٤١، ح ١٦٩٣٠) المقصود من ان النبي في ليلة المعراج رأى في منامه اشخاصاً كالقردة تتسلق وتلعب على منبره بحيث ان النبي بعد تلك الواقعة حزن حزناً عميقاً ولم يضحك بعده طويلاً حتى رحيله (كأنه راى ما سيحصل بعده، ولذا جاء في الروايات مصداقاً لآية «الشجرة الملعونة» فهو وارد، وعن وجود اشخاص أو مجموعة تشكل عبئاً على الدين، وتسبب الظلم والجور على الناس، وان هذه الرواية واوصاف الشجرة الملعونة ليست في مصادر الشيعة فقط؛ بل جاءت عمدةً في مصادر اهل السنة؛ من ذلك: راجع الخطيب البغدادي، تأريخ الخطيب، ج ٩، ص ٤٤، رقم ٤٦٢٧، ج ٧، ص٢٨٠، النيشابوري، غرائب القرآن، ج ٨، ص٣٦١ و٣٦٢ ؛ القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج ١، ص ١٨٣؛ ابن الاثير الجزري، اسد الغابة، ج ٢، ص ١٤

وكتب كثيرة اخرى امثال: دلائل النبوة للبيهقي ج ٦، ص ٥١١؛ مختصر تأريخ دمشق، ج٢٤، ص١٩٠ ؛ خصائص الكبرى، السيوطي ص ٢٠٠؛ كنز العمال ج ١١، ص ٣٥٨، ح٣١٧٣٦

ايازي في ذيل هذه الابحاث في ص ٢٥٦، للترجمة الفارسية: « بعض اهل السنة يقبل ان آية «الشجرة الملعونة» هم بنو امية ؛ على الرغم من عدم قبولهم لتعميمها لكل بني امية امثال عثمان ومعاوية، كابن عطية في تفسير المحررالوجيز (ج ٣، ص ٤٦٨)، والآن يطرح هذا السؤال نفسه: ان كان كثير من المفسرين والمؤرخين الشيعة والسنة قد نقلوا هذه الراية والتأريخ واقف على مدى ظلم وانحراف بني امية، فإن قوة السلطة لبني امية وبكل سفك صارت بصدد تطهير وتقديس نفسها واستأجرت وضّاعة الاحاديث، فمن الطبيعي عدم قبول بعضها، أو قد يعدّوه صراعاً مذهبياً، فإن عبارة « شجرة الزقوم »فيها مغزى رمزي وكناية ؛ والا توجد هناك انواع الاشجار المرة الثمر، ولكن وصف القرآن لهذه الشجرة بانها قبيحة وثمارها كرؤوس الشياطين (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) الصافات ٦٥.

و ذلك يدل على ان شجرة الزقوم والشجرة الملعونة في القرآن لها معنى رمزي.

٧٠ ـ ما هي الرابطة بين النظرة السياسية الشيعية بالنسبة للخليفة الثالث وصيانة القرآن، فالذي جاء به الخليفة الثالث هو توحيد المصاحف، وذلك بواسطة عدد من صحابة رسول الله، بحيث لا يصل اي سوء لسلامة القرآن وإتقانه؛ ويساعد ذلك على وحدة القراءة وانسجامها، وقد أيّده

الامام علي عليه السلام.

٧١ ـ ليس معلوماً ان الكاتب من اي منبع في وفرة منابع الشيعة استنبط ان القرآن النازل من قبل الله (عز وجل) اكبر بكثير من القرآن الفعلي الموجود ؛ والحال ان اجماع علماء الشيعة على مصونية القرآن من التحريف والاعتقاد بهذا القرآن الموجود، وإن قال ذلك بعض المحدثة من الشيعة، أو بعض الروايات المحرفة الموجودة في المتون الشيعية تدل على تحريف القرآن، فكل هذا التأكيد من علماء الشيعة، والباحثين القرآنيين الشيعة الناقدة لهذه الروايات دالة على قبول والتداول اللفظي والعملي للقرآن، وفي باب توكيد هذا المجال كتب كثيرة امثال الاعتقادات الامامية للصدوق، اوائل المقالات للشيخ المفيد، ص ٥٤-٥٦، مجمع البيان للطبرسي، ج ١، ص ١٥، تبيان الطوسي، ج١، ص ٣، وتفسير آلاء الرحمن، ج ١، ص ٢٥، وكتب كثيرة اخرى في المجال التخصصي بعد تحريف القرآن امثال: صيانة القرآن من التحريف لمحمد هادي معرفت، التحقيق في نفي التحريف لسيد علي ميلاني، والبرهان في علم تحريف القرآن لـمرتضى كشميري، وعشرات الكتب الاخرى التي يمكن مراجعتها، اما بخصوص دراسة كتاب اسطورة التحريف، ر. ك: مجلة **الصحيفة المبينة** الرقم الثاني لصيف ١٣٧٤ هـ. ش ١٤١٥هـ. ق لجامعة اراك الحرة، (جولدزيهر، ١٣٨٣هـ. ش ـ ١٤٢٦هـ. ق ص ٢٤٩، الهامش سيد علي محمد ايازي) ٧٢ – هذه الكتب والسور مرفوضة البتة عند الشيعة، ولا ترى لمثل هذه العقيدة في علماء الشيعة القدماء والمعاصرين.

٧٢ ـ ان مثل هذه الكتب والسور لا توجد البتة في عقائد الشيعة ولا عند علماء الشيعة لا السابقين ولا المعاصرين، وان الاستناد إلى نشرية خارجة عن دائرة الثقافة الشيعية من فرد نكرة خارج عن اسس التحقيق، فاذا حضر احد المحافل الدينية والعلمية والمساجد والمدارس الشيعية ؛يرى ان القرآن الذي هو بين يدي الشيعة ما هو الا نفس القرآن عند المسلمين كافة وعدم قبولهم لاى قرآن آخر، وامّا القرآين الموجدة في متاحف ايران والمراكز الشيعية التي ترجع إلى حقب زمنية بعيدة فهي نفس القرآين المتفق عليها بين المسلمين، فليس بمعلوم ان المؤلف بأى هدف وبأى مستوى من الجهل ذكر هذا الخبر بكراة في كتابه !!

اول شخص اورد في بحثه القرآني ان « الشيعة قائلة بتحريف القرآن كان تؤدور نولدكه، وقد درسه بتفصيل في كتاب تأريخ القرآن (طبع كتابه في ١٨٦٠م) وقد اخذ اكثر المستشرقة هذه الفكرة من آثاره.

٧٣ ـ ايازي في تعليقته على كتاب جولد زيهر يقول: «هذا نهاية الجهل إن لم يكن مغرضاً، وسوء فهم من عقائد الشيعة ورؤيتهم ان يقول ان الشيعة بالاجماع على عقيدة ان المصحف العثماني غير كامل ؛ وذلك مع اجماع الشيعة على المصحف الحالي وعدم تحريف المصحف العثماني أو زيادته

أو نقصانه، والطريف ان المؤلف نفسه في الفقرة التي بعدها (ص ٢٤١) يقر ان الشيعة يعتبرون القرآن العثماني اساساً لعقائدهم.

٧٤ ـ كما اشرنا، انّ هذه العقيدة ليست لاكثرية علماء الشيعة ؛بل انها من وضع محدثة قليلين قد وضعوا هذه النظرية والمؤلف بدلا من ان يراجع المصادر المهمة والاساسية للشيعة ؛ استند إلى روايات اهل السنة أو إلى مصادر نكرة وجعل منها سنداً لمبانيه النظرية، والطريف انه كررهذا التعبير ان هذا ملخص معتقد الشيعة على اجتماعهم بخصوص القرآن، وليس بمعلوم من اين جاء بهذه الخلاصة ومن اين عممها في الوقت الذي لم يذهب فيه إلى المصادر الشيعية الاساسية.

٧٥ – هذا من اقبح ما نقل في التأويلات عن الآيات فإن امثال مغيرة بن سعيد وابو الخطاب وبحسب الروايات عن الامام الصادق والامام الرضا عليه السلام ؛ قد وضعوا اخباراً كاذبة فيكتب اصحاب الامام الباقرعليه السلام (رجال كشى ص ٢٢٥)و عن طريق الغلو (ميزان الاعتدال، ج ٤، ص ١٦٢) أو نسبة أمور الى المخالفين (نفسه، ص١٦٠) صاروا بصدد تخريب الشيعة إلى حد ان الامام كشف عن خيانتهم (رجال كشى، ص ٢٢٥، الرقم، ٤٠٢)؛ وان الامام الرضاعليه السلام بصراحة اكثر خاطب ابن محمود (صدوق، عيون اخبار الرضا، ج ١، ص ٣٠٤) وكان الهدف من ذلك الطعن بمن له محبة في قلوب الناس وأن يجعلوا الائمة منزوين ؛ وكما جاء في الرواية عن ابن فرقد عن الامام الصادقعليه السلام (بحراني، البرهان، ج ١، ص ٤٨، عياشي، تفسير، ج ١، ص ٩٧، ح ٧٣)وكذلك في الرواية عن هشام ابن الحكم عن الامام الصادق عليه السلام ؛حيث اعتقد بعضهم ان الصلاة والزكاة والحج وامثال ذلك هم رجال تجب معرفتهم وولايتهم، وان الاعمال الرذيلة هم اشخاص يجب الابتعاد عنهم؛ فقال الامام عليه السلام بهذا الخصوص: «ما كان الله ليخاطب قومه بما لا يعلمون»(المجلسي، بحار الانوار، ج ٢٤، ص ٣٠٠).

وعلى أية حال فإنّ هذا النهج لم يكن بين محققي الشيعة، وان بعض اصحاب الحديث وقعوا في هذا الفخ، والمؤلف نسب هذه المنقولات إلى الشيعة ونسبها إلى كافي الشيعة (جولد زيهر، ١٣٨٣هـ. ق-١٤٢٦هـ. ق، ص٢٦٩ تعليقة السيد محمد علي ايازي).

٧٦ ـ هذا القسم يشتمل على ٤٧ صفحة(٢٤١-٢٨٨).

٧٧ ـ القسم السادس يشتمل على ٤٦ صفحة (٢٨٩-٣٣٥) من المتن الفارسي.

٧٨ – رستگار، السابق، ص٤٥.

٧٩– جولدزيهر، السابق، ص ١٩-٢١.

٨٠– نفسه، ص ٨، س ١(متن الكتاب). (الذي بعد هذا الهامش يتعلق بالدكتور رستگار).

٨١– نفسه، اول هامش منجم.

٨٢– نفسه (الترجمة العربية إلى الفارسية)، ص ١٨، السطر الاخير، ص ١٩، س ٢.

٨٣- نفسه (الترجمة الالمانية العربية)، ص ٤، اول هامش منجم (متن الكتاب).

٨٤- نفسه(الترجمة العربية إلى الفارسية)، ص ١٢ إلى ما بعدها.

٨٥- نفسه، ص ١٤، الفقرة الاخيرة إلى ما بعدها.

٨٦- للمثال، راجع: نفسه (الترجمة الالمانية إلى العربية)، ص ١٢٣، س ٥، ص ١٢٤، الهامش رقم ٣، ويدعي احياناً ان المعتزلة اثروا على رأي اليهود(راجع: نفسه، ص ١٢٨، الهامش رقم ٢و ص١٣٨، الهامش رقم ٣).

٨٧- (مشتي از خروار – قبضة تراب – راجع:نفسه، ص ٥، س ١-٢(متن الكتاب). الطريف ان المترجم الالمانية إلى العربية السني المذهب لم يعترض على راي جولد زيهر فقط بل اكد رأيه بشدة (راجع: نفسه، الهامش المنجم)!!

٨٨- نفسه (الترجمةالعربية إلى الفارسية)، ص٢٠ .

٨٩- نفسه (الترجمة الالمانية إلى العربية)، ص ٤، الفقرة الرابعة والخامسة (مقدمة الكتاب).

٩٠- ربما ان واحدة من هذه الادعاءات بخصوص اعتبار السيد المرتضى معتزلياً(راجع: نفسه، ص ١٣٦، س ٩، ص ١٣٧-س ٢)و تسميته بـ(علي ابن طاهر)(نفسه)، والتي لا تؤدي اي منها إلى اعتراض المترجم الدكتور عبد الحليم النجار، هذا وان بعض الآراء للسيد المرتضى عجيبة وتضعه بموضع اتهام!!

٩١- في اماكن متعدّدة من الكتاب والتي اشار اليها السيد ايازي في المقدمة والدكتور عبد الحليم النجار في هوامشه، منها: نفسه، ص ١٥، الهامش الثاني المنجم وص ٣١، الهامش الثاني المنجم

٩٢- نفسه، ص ٣٧، س٤.

٩٣ ـ نفسه، ص ٣٨

٩٤- نفسه، اول هامش منجم

٩٥- نفسه، ص ٦٢، س ٥-٨

٩٦- نفسه، الهامش المنجم

* مصادر البحث *

١ ـ الحسيني الطباطبائي، مصطفى (١٣٧٥هـ. ش ـ ١٤١٨هـ. ق) نقد آثار المستشرقين ؛ الحياة العلمية ونقد آثار عشرين من اشهرهم، طهران: مؤسسة النشر: جابش، الطبعة الاولى.

٢ ـ الخرمشاهي، بهاء الدين (١٣٧٧هـ. ش ـ ١٤٢٠هـ. ق)، رسالة القرآن والابحاث القرآنية، ج ٢٠، طهران: لدار الشر: دوستان ـ ناهيد، الطبعة الاولى.

٣ ـ رستكار، برويز (ربيع ١٣٨٣هـ. ش ـ ١٤٢٦هـ. ق)، مستغربات مستشرق، المجلة الفصلية للكتب الإسلامية، السنة الخامسة، ش ١٦، صص ٣٥ ـ ٥٢.

٤ ـ الزمخشري، جار الله (المتوفى ٥٣٨ ق)، دار النشر (بيتا)، الكشاف عن حقائق التنزيل، قم: من منشورات ادب الحوزة (افست من الطبعة البيروتية)

٥ ـ صادقي، تقي (١٣٧٩ هـ. ش ـ١٤٢٢ هـ. ق)، نظرة المستشرقين إلى القرآن: دراسة تحليلية في الخلفية، المدققون: مهدي جابر مرادي، مريم قنبري والـهام آذر، طهران: لنشر فرهنك كستر، الطبعة الاولى.

٦- العقيقي، نجيب(١٩٦٥)، المستشرقون، ٣ ج، القاهرة دار المعارف.

٧- جولد زيهر، إجناتس (١٣٥٧هـ. ش-١٤٠٠هـ. ق)، دروس حول الإسلام (ترجمة العقيدة والشريعة في الإسلام) ترجمه *علی نقی* منزوي، طهران: (الطبعة الأُولى: بيروت، على احتمال قوي انّ اسم الناشر ومحل الطبعة في الطبعة الثانية غير صحيح).

8- (١٣٨٣هـ. ش ـ١٤٢٦هـ. ق)مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمه: السيد ناصر الطباطبائي، مقدمته والحواشي: السيد محمد علي ايازي، طهران، لنشر ققنوس، الطبعة الاولى.

9- ماسينيون، لويى (بى تا)، مقدمة على فهرس الآثار لايجنز جولد زيهر، ترجمة حسن رضوي، مجلة كاوه، الرقم ٦٩(طبعة المانية، اصل المقالة نشرة في عام ١٩٢٧ في صص ١-١٦ فهرس الآثار لاجناز جولد زيهر من تأليف«برنارد هلر»في باريس).

١٠- الكليني، ابي جعفرمحمد ابن يعقوب بن اسحاق (المتوفى٣٢٨ق)، الاصول من الكافي، ج ٢، تصحيح وتحقيق علي اكبر الغفاري، نهض بمشروعه: محمد الآخوندي، طهران: دار الكتب الإسلامية، الطبعة الخامسة (الطبعة الثالثة: ١٣٨٨ ق).

